58

روايات عالمية للجيب

شرطي المكتبة

شبكة القمة
KUWAITUP.COM

الفصل الأول

الخطبة

١

فيما بعد قرر (سام بيبل) أن كل شىء كان غلطة لاعب الأكروبات الأحمق .. لو لم يفرط فى احتساء الخمر فى الوقت الخطأ لما وقع (سام) فى هذه المشكلة . ليس سيئًا بما يكفى أن الحياة تشبه جسرًا ضيقًا فوق هاوية ، وعلينا أن نمشى فوقه معصوبى الأعين . هذا سيئ لكن ليس بما يكفى .. أحيانًا يدفعنا أحدهم كذلك .. لكن هذا حدث فيما بعد .. فقبل أن يظهر شرطى المكتبة كان هناك لاعب الأكروبات الثمل ..

KUWAITUP.COM

٢

فى مدينة (جاتكشان) كان آخر جمعة فى الشهر هو يوم الخطب فى قاعة (الروتارى) المحلية . وفى شهر مارس من عام ١٩٩٠ كان أعضاء نادى الروتارى سيسمعون (جو) المدهش .. لاعب الأكروبات صاحب السيرك الجوال .

دق جرس الهاتف على مكتب (سام بيبل) للعقارات والتأمينات فى الرابعة وخمس دقائق من عصر الخميس ، فرفع (سام) السماعة لأنه مدير المكتب وموظفه الوحيد . لم يكن ثريًا لكنه سعيد .. وقد اعتاد أن يخبر الناس أنه لم يقتن (المرسيدس) بعد لكن سيارته الفورد تؤدى عملها جيدًا ..

ـ « (سام) .. هنا (كريج) .. لاعب الأكروبات قد دق عنقه ! »

KUWAITUP.COM

ـ « ماذا ؟ »

ـ « أنت سمعت .. لاعب الأكروبات دق عنقه اللعين »

فكر (سام) بعض الوقت ، ثم قال :

ـ « هل مات ؟ »

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

ـ « لا .. لكن ربما دنا من ذلك .. إنه فى المستشفى وقد التف عشرون رطلاً من الجبس حول عنقه .. قال لى (بيلى) إن لاعب الأكروبات جاءه فى حفلة الصباح (الماتينيه) ثملاً كظربان .. حاول أن يجرى شقلبة خلفية فهوى خارج الشبكة على عنقه .. قال إنه سمع صوت تهشم العنق وهو فى مقاعد المتفرجين »

ـ « أخ ! »

ـ « لست مندهشًا على كل حال .. (جو) المدهش ؟ أى اسم هذا للاعب سيرك ؟ إن الموقف كقطعة من القاذورات فوق الخبز المقدد .. لن يكون هناك خطيب فى الحفل .. »

تمنى (سام) لو كان قد انصرف فى الرابعة وترك آلة الرد على المكالمات تعمل .. كان هذا سيعطيه بعض الوقت للتفكير ..

لكن (كريج) واصل الضغط عليه :

ـ « فكرنا أنك قد تأتى لتملأ الفراغ .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ لا أستطيع عمل شقلبة واحدة و ... »

ـ « بل تتكلم عن أهمية الأعمال المستقلة فى حياة البلدات الصغيرة .. (سام) .. أنا لست فقط رئيس لجنة

KUWAITUP.COM

الخطابة .. بل أنا اللجنة ذاتها منذ رحل (كينى) وكف (كارل) عن حضور الاجتماعات .. (سام) أنا بحاجة لعونك .. يجب أن تأتى لتكون خطيب الحفل غدًا .. ليس لدى سوى خمسة أشخاص أثق فى قدرتهم على إلقاء خطاب »

ـ « لكن عملى هو كتابة وثائق التأمين وحين لا أفعل ذلك أبيع المزارع .. معظم الناس يجدون عملى مملا ومن لا يجدونه مملاً يجدونه مثيرًا للغثيان »

لكن (كريج) كان متأهبًا للقتل ، لذا قال فى إصرار :

ـ « أنت تعرف أنهم سيكونون ثملين بعد العشاء ولن يتذكر واحد منهم حرفًا مما تقول .. فقط أريد أحمق يقف ويتكلم نصف ساعة وقد انتخبتك .. أنت مدين لى »

ـ « حسن .. حسن .. لم لا ننهى المحادثة ؟ لابد من كتابة خطبة »

ـ « اكتب ما تريد .. لكن تذكر أن العشاء فى السادسة والخطبة فى السابعة والنصف »

ووضع السماعة وهو يشعر ببركان من الحمض يصعد فى معدته .. المعدة التى كانت هادئة منذ خ

KUWAITUP.COM

٣

لم يذهب (سام) هذه الليلة للعب البولينج كما كان ينتوى ، بل أغلق مكتبه عليه .. وجلس على المكتب وأمامه ثلاثة أقلام رصاص ومفكرة وعلبة تبغ ، ونزع قابس الهاتف .. ثم كتب العنوان :

« الأعمال فى المدن الصغيرة شريان الحياة للأمريكيين »

قرأ الاسم بصوت عال فراق له .. لا .. ربما لم يرق له لكن يمكنه تحمله على كل حال . وبدأ يكتب ...

٤

فرغ (سام) من تلاوة خطابه فدفن لفافة التبغ فى المطفأة ونظر متسائلاً إلى (ناعومى هجنز) :

ـ « ما رأيك ؟ »

كانت (ناعومى) شابة حسناء من (بروفيريا) .. وهى مدينة على بعد أربعة أميال غربى (جانكشان) ..

KUWAITUP.COM

هناك كانت تعيش فى بيت آيل للسقوط مع أم آيلة للسقوط بدورها . وكان المتراهنون فى المدينة يتراهنون حول أيهما سيسقط أولاً : البيت أم الأم .. وكانت كاتبة اختزال بارعة تمر على أكثر من عميل تجارى لتكتب خطاباته .

قال لها :

ـ « لا تخشى من الحقيقة .. »

لكنه كان يعتقد أن الخطبة جيدة فعلاً .. وقد بدأ يتضايق من فكرة أن الجميع سيكونون ثمليين ولن يهتموا بما يقول ..

ـ « بالعكس .. أعتقد أنها خطبة ممتعة .. لكنى أراها .. لنقل .. جافة .. »

KUWAITUP.COM

كان هو مرهقًا لأنه سهر حتى الواحدة صباحًا فى هذه الخطبة فقالت مقترحة :

ـ « اذهب للمكتبة وابحث عن كتاب أو اثنين .. كتب فيها .. لنقل .. نكات مثلاً أو أشعارًا وطنية أمر

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

شعر بتقلص فى معدته .. الأمر بدأ يزيد على الحد .. هل يجرى بحوثًا من أجل خطبة فى نادى (روتارى) ؟ إنه لم يقصد المكتبة قط ..

ـ « هل المكتبة فيها شىء عن النكات المناسبة للخطب ؟ »

ـ « بالتأكيد ستجد شيئًا كهذا .. »

راح يفكر . وبدأت الفكرة تروق له .. بعض توم على الخطبة ربما تحسنها وربما تدفعه لارتياد المكتبة بعد أعوام من التجاهل السعيد .. على كل حال المكتبة هى المكتبة .. يمكن دومًا أن تسأل أمينة المكتبة عما تريد ..

قالت له الفتاة :

ـ « لكن يمكن تركها كما هى فعلى الأقل سيكونون ثمانين ولن يسمعوا شيئًا .. »

لكنه كان قد قرر أن يمضى ما بعد الغداء فى المكتبة ..

* * *

الفصل الثانى

المكتبة

١

كان (سام) قد مر على المكتبة مئات المرات خلال حياته فى البلدة ، لكن هذه هى المرة الأولى التى ينظر لها فعلاً ، وقد أدرك شيئًا غريبًا هو أنه يكرهها بمجرد النظر .. النوافذ ضيقة والباب غريب الشكل مع السقف .. كل هذا جعل مدخل المكتبة يبدو كوجه (روبوت) حجرى مقطب .. هذا طراز مميز للمبانى فى (أيوا) وقد أطلق على هذا الطراز اسم (الغرب القبيح) ..

لكنها مجرد مكتبة .. ليست أقبية المستنطقين .. لاشىء يبرر الحموضة التى شعر بها فجأة فى فمه قرصًا معالجًا لها .. أنت قد وافقت على إلقاء خطاب فى نادى روتارى متواضع وليست الأمم المتحدة .. فلماذا لا تنسى الأمر وتعود للمكتب ؟ كان يمقت اجتماعات الروتارى ويسخر منها ، لكنها كانت تمتاز بأنها المكان الذى يسمح بعمل علاقات

KUWAITUP.COM
شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

أشخاص يمكنهم أن يمنحوك ثلاثة ملايين بمكالمة هاتفية .. لهذا تحضر الاجتماعات يوم الجمعة .. ولهذا يهتم (كريج) بالأمر .. لأنك ترغب فى أن يلاحظك هؤلاء الذين يحركون الأمور ويهزونها فى البلدة .

سيكون الجميع ثملين لكن بعضهم لن يسكر .. وعلى الأرجح سيكون هؤلاء الذين لن يسكروا هم الأشخاص الذين يهمك رأيهم فيك ..

لكنه لاحظ شيئًا غريبًا .. لا توجد نباتات على جانبى بناية المكتبة .. لكن ما معنى هذا ؟ تسلق الدرجات ووقف أمام الباب ..

بدا له المكان مهجورًا .. قبض على المقبض وراهن نفسه على أنه سيكون مغلقًا .. لابد أنهم يغلقون عصر الجمعة .. شىء ما أراحه فى هذه الفكرة .. لكن المقبض تزحزح ووجد (سام) نفسه يدخل إلى قاعة لها أرضية على شكل الشطرنج . وفى وسط المدخل وجد حاملاً يحمل لافتة ، تقول :

KUWAITUP.COM

الصمت !

فقط الصمت .. وليس (الصمت من ذهب) أو (الهدوء من فضلك) ..

شعر فى هذه اللحظة أنه فى الصف الرابع الابتدائى ، وأن المعلمة تناديه لتسأله مسألة صعبة .. نظر حوله فى توتر متوقعًا قدوم أمينة مكتبة سيئة الطبع لترى من هذا الأحمق . كف عن الذعر .. أنت فى الأربعين .. زمن طويل يفصلك عن الصف الرابع الابتدائى يا صاحبى ..

مشى فى قلق متجهًا إلى المدخل .. كانت هناك كرات زجاجية تتدلى من السقف العالى ، لكنها لم تكن مضاءة .. كانت الإضاءة تأتى من نافذتين تطلان على السماء .. وفى يوم مشمس يمكن لهما أن [illegible] مبهجًا .. لكن يوم الجمعة هذا كان معتم الإضاءة ..

KUWAITUP.COM

شعر بأنه دخل عالمًا لا ينتمى له .. عالمًا لا ينتمى لهذا الذى يعرفه ويحبه أحيانًا ويمقته أحيانًا .. لكنه يأخذه كقضية مسلم بها .. الصمت ثقيل كالبطانية بارد كالثلج ..

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

هناك كتب تغطى كل الجدران وسلالم من الطراز الذى يتحرك على عجلات مطاطية .. وثمة لافتة تحدد فترة الاستعارة بسبعة أيام ..

كانت هناك كاميرا ميكروفيلم صغيرة على المنضدة ، فلم يبد أن هناك رجلاً أو امرأة .. كانت هناك لافتة اسم صغيرة تقول (لورنز) .. لكن لا يوجد مستر أو مس (لورنز) هنا .. شعر بتوتر وتمنى لو كان قد عاد إلى مكتبه .. تذكر أغنية قديمة من طفولته تقول : لا م
ولا مرح .. لقد بدأ اجتماع الكويكرز(*) ! لو أظهرت أسنانك أو لسانك فعليك دفع غرامة ..

مشى إلى نهاية الممر فوجد بابًا عليه لافتة تقول : «كتب الأطفال» . كان الباب مغلقًا وعليه صورة تظهر (ذات الرداء الأحمر) تواجه ذئبًا يلبس ثياب الجدة .. وكان الهلع على وجه الفتاة بينما الزبد يسيل من شدقى الذئب .. الصورة كلها توحى بأن النهايات السعيدة لكل القصص الخيالية مجرد كذبة . فتح الباب فزالت كل مخاوفه ..

(*) جماعة دينية أمريكية أنشأها (جورج فوكس) وكانت تنادى بالسلام ، إلا أن طابع اهتزازهم المتكرر أثناء الصلاة منحهم هذا الاسم الذى يعنى (المهتزون) ..

لقد توفى أبوه وهو صغير السن وكانت أمه عاملة فلم يكن يراها إلا أيام الأحد تقريبًا .. وكان يذهب إلى المكتبة .. الآن يستعيد هذه المشاعر فى مزيج من الحنين والألم ..

إنه عالم مضاء بشكل مبهر .. أضواء فلورسنت من السقف تطل على مناضد صغيرة تراصت إليها مقاعد مناسبة للأطفال . فى هذا العالم يصير الكبار غرباء حشريين .. لو حاولوا الجلوس لرفعوا المناضد على ركبهم .. سوف يهشمون جماجمهم لو انحنوا ليشربوا من نافورة الماء فى ركن المكان . السقف منخفض أكثر مما يريح الكبار لكن ليس إلى درجة أن يخنق الأطفال .

لا توجد كتب كثيبة التجليد ولكن توجد صفوف من الألوان البراقة الصارخة . هنا يصير د . (سويس Seuss) ملكا وتصير (جودى بلوم Blume) الشعور القديم بأن الكتب تتوسل لك كى تمسك بها .. تفتحها ..

هناك صورة لكلب لطيف على الجدار كتبت تحتها أصدق حقائق الحياة : من الصعب أن تكون طيبًا .. نظر (سام) إلى اليسار فرأى صورة جعلت البسمة تموت على شفتيه .. صورة سيا

KUWAITUP.COM

بسرعة خارج بناية مدرسة ومن وراء نافذتها يطل وجه طفل مذعور يصرخ .. ووراء عجلة القيادة خيال مظلم لرجل كبير مخيف .. وتحت الصورة كتبت عبارة :

ـ لا تقبل توصيلة من الغرباء !

بالطبع على الأطفال ألا يقبلوا توصيلة من الغرباء ، ويجب أن يتعلموا هذا بوضوح .. لكن هل هذه هى الطريقة المثلى لتعليمهم هذا ؟! كم طفل قضى أسبوعًا من الكوابيس بفضل هذه الصورة !

KUWAITUP.COM

كانت هناك صورة أخرى لطفلين مذعورين يقف أمامهما رجل يلبس معطفًا وقبعة .. لابد أن طوله لايقل عن مترين بينما ظله يسقط عملاقًا على الطفلين .. عينا الرجل تتوهجان فى ظل قبعته بينما هو يمسك شارة فى يده .. والعبارة تحت الصورة تقول :

ـ « احترس من شرطى المكتبة ! أعد الكتب فى موعدها »

فجأة ! سمع صوتًا من خلفه يقول :

ـ « مرحبًا بك .. »

هكذا استدار بسرعة متأهبًا للقتال مع تنين المكتبة الذى قرر الظهور الآن ..

٢

لم يكن هناك تنين .. فقط امرأة مكتنزة فى الخامسة والخمسين ذات شعر أبيض ، تدفع عربة صغيرة عليها كتب ، وقالت :

ـ « أحسبك تبحث عنى .. هل أخبرك مستر (بيكام) بمكانى ؟ »

ـ « لم أر أحدًا قط »

ـ « إذن لابد أنه ذهب لبيته .. لا يدهشنى هذا فى يوم الجمعة . إنه يأتى ليكنس المكتبة ويقرأ الجريدة .. فهو الفراش .. لكنك تعرف كم أن جرائد الجمعة هزيلة ! »

KUWAITUP.COM

ـ « أعتقد أنك أمينة المكتبة ؟ مس (لورنز) ؟ »

ـ « وأنت (سام بيلز) ؟ العقارات والتأمين .. هذه لعبتك ! يؤسفنى أنك لم تلق أحدنا .. نحن اثنان فقط هنا لأن العمدة قد خفض نفقات المكتبة .. فقط نصير ثلاثة فى وقت خروج المدارس ؛ لأن الأطفال هم أهم عملائنا وأكثرهم إخلاصًا »

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

بدأ يشرح لها مشكلته .. إن خطيب الحفل قد حطم عنقه وعليه هو أن يلقى خطبة الروتارى الليلة .. كانت تصغى له باهتمام لكنه لم يستطع أن يرتاح لها .. كان هذا غريبًا بالنسبة لرجل بيزنس مثله يتعامل بحرارة (وإن كان بسطحية) مع كل الناس ..

- « كتبت الخطبة وقرأتها تلك الفتاة التى تقوم بالاختزال لى .. و ... »

KUWAITUP.COM

- « (ناعومى هجنز) على ما أظن .. »

- « هل تعرفينها ؟ »

- « نعم .. تأتى لتأخذ الكتب الرومانسية من عندى .. تقول إنها لأمها لكن أعتقد أنها تقرؤها بنفسها .. إنها السكرتيرة الوحيدة هنا ويبدو أنها الشابة التى تتكلم عنها .. »

ابتسم لهذه المعلومة .. إن (ناعومى) لها عينا من يقرأ القصص الرومانسية سرًا على كل حال ..

- « (ناعومى) ترى أن الخطبة جافة وأن على أن أضيف لها شيئًا من كتاب ما .. »

- « إذن أعتقد أنك تبحث عن كتاب (رفيق الخطباء) .. »

- « هل فيه نكات ؟ »

- « فقط ٣٠٠ منها .. »

ثم أمسكت بيده تقتاده إلى الخارج ، قائلة :

- « من هنا يا (سام) .. سوف تنتهى مشاكلك حالاً .. فقط آمل أن تزور مكتبتنا بشكل طبيعى بعد هذا من دون حاجة إلى مشكلة فى كل مرة .. إنها صغيرة لكنها ممتازة »

واقتادته إلى القاعة الواسعة الكئيبة فأضاءت عدة مفاتيح ليغمر ضوء مبهج المكان ..

- « لا تؤاخذنى .. إن الجو يكون كئيبًا من دون أضواء هنا ، لكن العمدة يحدث صخبًا [illegible] رباء عندنا .. يمكنك أن تتخيل ذلك »

ودخلت لتفتش بين الرفوف عن الكتاب .. وقف (سام) شاعرًا بأنه ما زال فى الصف الرابع .. صبى معاقب فى الصف الرابع لذا لا يستطيع اللعب مع أصحابه .. الأغرب أن المكتبة خالية تمامًا

KUWAITUP.COM

أن تكون مزدحمة لكنه توقع على الأقل أن يرى رجلاً على المعاش يتصفح جريدة .. حتى مستر (بيكام) قد فرغ من الجريدة وعاد للدار .. لأن جرائد الجمعة تكون هزيلة كما تعلم ..

غريب أنه لم يحب هذه المرأة اللطيفة قط .. لكنه يعرف أن السبب هو الملصقات التى رآها .. أنت لست مستعدًا لتحب أى شخص يعلق ملصقات كهذه فى مكتبة أطفال ..

KUWAITUP.COM

نظر للجدار فوجد عبارة مقتبسة من (إمرسون) تقول : لو أردت أن ترى كيف يعامل الرجل زوجته وأطفاله فلتر كيف يعامل كتبه ..

لم ترق له العبارة لأنه كان يفترض أن الرجل يعامل زوجته وأطفاله أفضل قليلاً من الكتب .. مهما كان الأمر ..

هنا عادت مس (لورتز) ، وقالت وهى تبتسم :

ـ « أعتقد أننى وجدت ضالتك . »

فى الحقيقة لم يحب ابتسامتها ، ثم عرف أن السبب هو أن عينيها لا تبتسمان أبدًا ..

وناولته كتابين ، أحدهما كان (رفيق الخطباء) والآخر كان (أكثر الأشعار شعبية لدى الأمريكيين) .. الكتاب الأخير قامت باختيار أشعاره امرأة تدعى (هيزيل) تزعم أنها وضعت أصابعها على نبض حياة الأمريكيين . نظر للكتاب فى شك ، فقالت المرأة :

ـ « نعم .. تبدو عتيقة الطراز لكنها كتب ممتازة صدقنى .. مثلاً صفحة ٦٥ من هذا الكتاب ـ إن لم تخنى الذاكرة ـ فيها فصل بعنوان (الإلهام) .. وهو مخصص للخطباء المبتدئين .. إن مقطوعة صغيرة من الشعر سوف تلتصق بذهن الناس حتى لو كانوا ثملين .. سوف تجد فى الفصل الثالث خطة للحصول على اهتمام مستمعيك .. تليينهم .. ثم تنعيمهم .. ثم السيطرة عليهم . »

KUWAITUP.COM

قال (سام) لنفسه : يبدو هذا كتيبًا لتعليم زير النساء (الجيجولو) .. لكنه قال لها :

ـ « فقط أنا أتساءل .. جئت هذه المكتبة لغرض معين ، وهأنذا قد ظفرت بما أريد بالضبط .. كم [illegible]

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

يحدث هذا فى الحياة ؟ كم مرة ظفرت بقطع اللحم التى تريدينها بعنف من الجزار ؟ »

ـ « سأعتبر هذه مجاملة .. »

ـ « إنها كذلك .. »

ـ « أخشى أن هذا لن يغير حقيقة أنك مدين لى بدولارين .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « هذه تكاليف استخراج بطاقة استعارة للكبار لكنها صالحة لمدة ثلاثة أعوام .. والتجديد بخمسين سنتًا .. هل هى صفقة ؟ »

ـ « تبدو كذلك لى .. »

ـ « إذن اتبعنى من هنا لننهى الإجراءات »

KUWAITUP.COM

٣

ملأ البيانات التى طلبتها منه ، فقالت له :

ـ « كان يجب أن تكون متزوجًا .. »

ـ « ومن قال لك إننى لست متزوجًا ؟! »

ـ « نفس الطريقة التى عرفت بها أننى غير متزوجة .. لا يوجد شىء فى الإصبع الثالث الأيسر ! والآن دولاران من فضلك »

ثم استخرجت له بطاقة ذات لون برتقالى فاقع ووقعت باسمها تحت بياناته .. لاحظ أن اسمها الأول (أرديليا) .. بدا له اسمًا جميلاً وغير مألوف ..

قالت له ، وهى تصور البطاقة على جهاز الميكروفيلم :

ـ « يمكنك الاحتفاظ بالكتب لأسبوع واحد .. لأنها من قسم (المراجع) .. هذا قسم ابتكرته بنفسى للكتب التى تطلب بإلحاح .. تأكد من إرجاع الكتابين قبل السادس من إبريل »

وفجأة خيل إليه أنه يرى شيئًا عجيبًا .. للحظة بدا كأن عينى (أورديليا لورنز) تلمعان .. كأن هناك عملتين فى عينيها ، وقالت باسمة :

ـ « وإلا اضطررت لإرسال شرطى المكتبة فى أثرك »

KUWAITUP.COM

٤

للحظة تلاقت عيناهما فخيل لـ (سام) أنه يرى (أرديليا لورتز) الحقيقية، فلم يكن هناك شيء جذاب أو ناعم فيها. فكر فى أن هذه المرأة خطرة ثم استبعد الفكرة، وقد فسرها بالجو الكئيب وتوتره بصدد الخطبة.

على الباب قال لها:

ـ « ثمة ملحوظة بصدد تلك الملصقات المعلقة فى غرفة قراءة الأطفال .. »

ـ « آه .. تعنى شرطى المكتبة و(سام) الساذج ؟ هكذا يسميه الأطفال لأنه ساذج وركب السيارة مع شخص غريب .. »

ـ « هذه الصور .. تبدو لى مفزعة خاصة حينما يراها الأطفال .. »

ـ « لكنها فعالة .. ألا ترى هذا معى ؟ لست أنت أول من انتقد هذه الصور .. لست أول شخص بالغ لم ينجب أطفالاً يبدى هذا التعليق .. »

كانت لهجتها توحى باللوم .. بأنه حصل على ما يريد ثم قرر أن يتسلى بانتقاد طريقتها فى إدارة المكتبة ..

أردفت المرأة:

ـ « لقد أجرينا استفتاء بين الأطفال من رواد المكتبة العام الماضى .. هذا جزء مهم من عملنا .. اتضح أن الفيلم المفضل لدى الأطفال هو (كابوس فى شارع إلم ـ ٥) وأفضل فرقة غنائية تدعى (المسدسات والأزهار) .. أفضل قصة قرءوها كانت تدعى (أغنية البجعة) .. قصة مرعبة كتبها رجل يدعى (روبرت مكامون) .. هذه القصة قرأ الصبية كل نسخة منها حتى تحولت إلى خرقة .. وحتى النسخة التى قمت بتجليدها سرقها صبى شرير .. »

ثم ضمت شفتيها، وقالت:

ـ « عن نفسى لم أر أى جزء من (كابوس فى شارع إلم) .. ولا يمكن أن أقرأ قصة لـ (مكامون) أو (ستيفن كينج) أو (ف س أندروز) .. هل تفهم ما أرمى إليه ؟ الملصقات التى نعلقها تأتينا من مجمع المكتبات القومى .. وهذا يموله دافعو الضرائب .. أى إنه يأتى منك ومنى .. »

KUWAITUP.COM
شبكة الكويت
KUWAITUP.com

كان (سام) ينقل ساقًا بدل ساق .. وما كان ليحب أن يمضى العصر يصغى لمحاضرة عن حرية الاختيار ، لكن ما كان متأكدًا منه هو أنه يمقت (أرديليا لورتز) أكثر فأكثر كل دقيقة ..

ـ « هناك لجنة بها أطفال تختار لنا الملصقات .. هل بدأت تفهم ؟ »

ـ « نعم . الأطفال اختـاروا شرطى المكتبة والساذج لأنها ملصقات مرعبة »

ـ « بالضبط .. »

صافحها ، وقال :

ـ « أرجو ألا أكـون تجـاوزت حدودى .. أنت لست متضايقة منى »

مدت يدها تلمس يدها ، وقالت :

ـ « على الإطلاق .. »

ثم أشارت بإصبع مكسوة بالطلاء بعناية إلى الكتـب ، وقالت :

KUWAITUP.COM

ـ « تذكر .. أسبوع واحد يا (سام) .. لا أحب أن أرسل شرطى المكتبة فى أثرك .. »

وابتسمت ..

قال (سام) :

ـ « وأنا كذلك لا أحب .. »

* * *

KUWAITUP.COM

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

الفصل الثالث

خطبة (سام)

١

كان نجاح الخطبة ساحقًا .. لقد بدأ بإحدى قصص (التلبين) فى كتاب (رفيق الخطباء) .. وكان قد إختار قصة عن بيع طعام مجمد للإسكيمو .. ثم ألقى مقطوعة شعرية قصيرة .. وأنهى كلامه قائلاً :

KUWAITUP.COM

ـ « حاولت أن أعطيكم بعض أسباب عملى فى بلدة صغيرة مثل (جانكشان) .. فإن لم تقنعكم فأنا فى مشكلة كبرى ! »

دوت ضحكات من القلوب مع رائحة أبخرة الويسكى .. وكان عرقه يسيل بغزارة لكنه يشعر بالرضا عن نفسه وبدأ يعتقد أنه قد ينجو من هذا .. لم ينصرف أحد ولم يلق أحدهم بطعامه .. هناك صيحة استهجان واحدة ، لكنها كانت حميدة ..

قال لهم :

ـ « لا شك فى أن المتاجر الكبرى فى المدن تبيع أشياءها بأسعار أرخص منا .. بل يمنحونك مكانًا مجانيًا توقف فيه سيارتك .. لكن هناك شاعرًا يدعى (مايكل سبنسر) قال :

فقط اللمسة البشرية فى هذا العالم هى ما له معنى .

لمسة يدك أو يدى ..

إنها أكثر أهمية للقلب المرتجف من المأوى والطعام والشراب ..

KUWAITUP.COM

لأن المأوى يزول متى انتهت الليلة والخبز لا يدوم إلا يومًا ..

لكن لمسة اليد تغنى فى روحك للأبد .. »

فما أن انتهى حتى كان التصفيق يصم الآذان .. وراح يتعالى .. قال لنفسه إنه ما شربوا .. كانوا سيصفقون بنفس الطريقة لو قلت أى شئ .. التصفيق ..

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

فجأة ! رأى الناس ينهضون ، فقال لنفسه إنهم متلهفون على الانصراف ، لكنه رأى (كريج) يشير له ففهم .. يريد منه أن ينحنى لهم .. نهض كالمذهول غير مصدق فوجدهم يصفقون له فعلاً ..

وهتف (كريج) وهو يحرك يدى (سام) كالمضخة لأعلى وأسفل :

ـ « هذا عظيم .. لو عرفت منذ البداية أنك موهوب هكذا لحجزت لك الدور الأول .. من أين نسخت هذه الخطبة ؟ »

ـ « لم أنسخها .. إنها من تأليفى »

راح الجميع يصافحونه حتى شعر بأنه الطلمبة الوحيدة فى المدينة فى موسم الجفاف ..

ـ « أفضل خطبة سمعتها فى هذا النادى اللعين منذ عامين ! »

٢

فى الصباح عاد لعالم الأحياء بمعدة متقلصة من فرط الشراب .. لقد فتح باب بيته بمعجزة ؛ لأنه وجد بدلاً من مفتاح واحد وقفل واحد ثلاثة مفاتيح وأربعة أقفال .. وقد نزع ثيابه وارتمى فى الفراش غير عالم بأى شىء ..

وقف فى الحمام تحت الدش البارد ، ثم ارتدى ثيابه .. وأدار شريط آلة الرد على المكالمات . فى البداية جاء صوت امرأة .. أين سمعه من قبل ؟

ـ « أهلاً يا سام .. سمعت خطبتك وكانت رائعة .. أنا فخور بك »

لقد كانت تلك المرأة (لورتز) .. كيف حصلت على رقمى ؟ لابد أنه كتبه فى بطاقة استعارة المكتبة ..

ـ « تأكد من إعادة الكتب قبل السادس من إبريل »

ثم انتهت المكالمة ..

قال (سام) :

ـ « أنت إنسانة كريهة »

ثم اتجه للمطبخ ليعد لنفسه بعض الخبز المحمد ..

KUWAITUP.COM
شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

٣

عندما عادت (ناعومى) بعد أسبوع ناولها مظروفًا سميكًا فتحته فوجدت بطاقة شكر مع عشرين دولارًا .. نظرت له متسائلة ، فقال :

ـ « هذا على سبيل الشكر .. أنت من أعطتنى فكرة الذهاب للمكتبة .. وبفضلك كانت خطبتى ناجحة بحق .. »

قالت ، وهى تنظر للباب لتتأكد من أن بوسطى التراجع :

ـ « أنا لا أريد هذا .. لقد كان ذلك عملى »

ـ « ألا تفهمين أننى بعت منزلين وكتبت وثائق تأمين بمائتى دولار منذ ألقيت هذه الخطبة اللعينة ؟ لو لم تأخذى هذا المبلغ لصرت فى أتعس حال »

كان قد حاول التقرب لها عام ١٩٨٨ لكنها أفلتت من عروضه ببراعة وحنكة .. قالت إن السبب ليس أنه لا يروق لها ، ولكن لأنها لا تتصور أية علاقة بينهما فى أى وقت .. بعض الأشياء لا يمكن شرحها يا (سام) لكن ليس بوسعى .. صدقنى ..

KUWAITUP.COM

هكذا أخذت المبلغ لترضيه ، لكن شعر بأنها مسرورة ، وقالت له :

ـ « ليكن .. الآن وقد أخذت المال فهل يمكننا أن نتكلم فى موضوع آخر ؟ »

عقد يديه خلف رأسه ونظر إلى السقف مفكرًا ، وقال :

ـ « إنه الحظ .. حين طلب منى (كريج) أن ألقى هذه الخطبة كنت على وشك قتله »

قالت :

ـ « أنت أسعد حظًا مما تظن .. عندما اقترحت عليك زيارة المكتبة نسيت أنها تغلق عصر الجمعة .. لكنك وجدتها مفتوحة .. لابد أن مستر (برايس) كان يطالع جريدته هناك »

ـ « (برايس) ؟ لابد أنك تعنين (بيكام) .. الفراش الذى يهوى قراءة الصحف ؟ »

نظرت له ، وقالت :

KUWAITUP.COM
شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

ـ « (بيكام) الوحيد الذى أعرفه مات منذ عامين .. أنا فعلاً أتحدث عن مستر (برايس) أمين المكتبة .. »

ـ « لم أر إلا مس (لورتز) .. وهى امرأة ممتلئة فى منتصف العمر »

نظرت له نظرة ذات معنى ، وقالت :

ـ « مس (لورتز) ؟ هذا غريب .. إنها ... »

KUWAITUP.COM

لو أنها أكملت كلامها لغيرت الكثير ، لكن الحظ يلعب ألعابًا غريبة .. هذا ما فكر فيه فيما بعد .. ففى هذه اللحظة بالذات دق جرس الهاتف ..

كان هذا (بيرت إيفرسون) الأب الروحى لكل رجال القانون فى بلدة (جاتكشان) .. كان يتحدث عن صفقة تأمين كبرى .. المركز الطبى الجديد الذى ما زال فى بدايته ، لكنك تعرف إلى أى حد يمكن أن يتسع ..

هكذا حين عاد لـ (ناعومى) كان قد نسى كل شىء عن (لورتز) .. هذه الصفقة ضخمة ، ويمكن أن تضعه خلف عجلة قيادة المرسيدس التى يحلم بها ..

كانت (ناعومى) تعرف جيدًا من هى (أرديليا لورتز) وقد حسبت (سام) يعرف كذلك .. لقد كانت المرأة صاحبة أسوأ قصة فى (جاتكشان) منذ عشرين عامًا .. ربما منذ الحرب العالمية الثانية .. حينما عاد الفتى (موجنس) إلى داره من المحيط الهادى ، وقتل أسرته قبل أن يصوب السلاح إلى رأسه ويفجره .. لقد فعلها (إيرا موجنس) قبل عصر (ناعومى) .. ولم تعرف أن قضية (أرديليا) حدثت قبل قدوم (سام) إلى البلدة ..

لقد نسيت الأمر وراحت تفكر ما إذا كانت ستتناول (لازانيا) أم شواء على العشاء .. وهكذا راح (سام) يملى عليها الخطابات ثم دعاها إلى الغداء فرفضت ؛ لأنها يجب أن تعود لأمها التى بدأت صحتها تتدهور هذه الأيام .. هكذا لم يتكلم أحد عن (أرديليا) ذلك اليوم ..

KUWAITUP.COM

* * *

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

الفصل الرابع

الكتب المفقودة

١

ما كان (سام) من هواة وجبة الإفطار ، غير أنه فى أيام السبت من حين لآخر كان يشتهى أن يغير الروتين ، فيستيقظ متأخرًا ثم يتجه إلى مطعم (ماكدونالد) ليحظى بإفطار دسم من اللحم والبيض بينما يقرأ الصحيفة .. يقرؤها فعلاً ولا يكتفى بتقليب صفحاتها ..

وقد اتبع هذا الروتين فى الصباح التالى .. السابع من إبريل .. كان الجو صحوًا رائقًا يمثل بدقة بداية الربيع ..

كان قد فرغ من الإفطار وعاد إلى داره ليجد أن هناك رسائل على آلة الرد على المكالمات .. أدار الشريط فسمع صوت (أرديليا) الذى لا يمكن أن تخطئه ، يقول :

ـ « (سام) .. لقد خاب أملى فيك .. لم ترجع الكتب التى استعرتها ! »

KUWAITUP.COM

ـ « اللغـة ! »

كان هناك شىء يحيره طيلة الأسبوع ويتواثب على لسانه .. الكتب .. لابد أنها وجدته ذلك الجلف الفظ الذى أرادته أن يكون .. هو يتحذلق ويصدر أحكامه حول أية صور تصلح لمكتبة الطفل وأيها لا يصلح .. المهم الآن أن يعرف إن كانت قد وضعت لسانها السليط على آلة الرد أم أنها تؤجل هذا حتى تراه وجهًا لوجه .

ـ « لقد توقعت ما هو أفضل من ناحيتك يا (سام) .. »

وجد أنه واقف فى الدار وحده ولفافة التبغ بين يديه وأذناه محمرتان .. لقد عاد صبيًا فى الصف الرابع الابتدائى .. من جديد عاد صوت المرأة :

ـ « لقد قررت أن أمدد لك الفترة حتى يوم الإثنين .. فقط تجنب إغضابى .. وتذكر شرطى المكتبة يا (سام) .. »

KUWAITUP.COM

قال لها :

ـ « قديمة يا صغيرتى .. »

لكن المكالمة كانت قد انتهت وكذلك انغلق جهاز التسجيل ..

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

هناك كتب تغطى كل الجدران وسلالم من الطراز الذى يتحرك على عجلات مطاطية .. وثمة لافتة تحدد فترة الاستعارة بسبعة أيام ..

كانت هناك كاميرا ميكروفيلم صغيرة على المنضدة ، فلم يبد أن هناك رجلاً أو امرأة .. كانت هناك لافتة اسم صغيرة تقول (لورنز) .. لكن لا يوجد مستر أو مس (لورنز) هنا .. شعر بتوتر وتمنى لو كان قد عاد إلى مكتبه .. تذكر أغنية قديمة من طفولته تقول : لا م
ولا مرح .. لقد بدأ اجتماع الكويكرز(*) ! لو أظهرت أسنانك أو لسانك فعليك دفع غرامة ..

مشى إلى نهاية الممر فوجد بابًا عليه لافتة تقول : «كتب الأطفال» . كان الباب مغلقًا وعليه صورة تظهر (ذات الرداء الأحمر) تواجه ذئبًا يلبس ثياب الجدة .. وكان الهلع على وجه الفتاة بينما الزبد يسيل من شدقى الذئب .. الصورة كلها توحى بأن النهايات السعيدة لكل القصص الخيالية مجرد كذبة . فتح الباب فزالت كل مخاوفه ..

(*) جماعة دينية أمريكية أنشأها (جورج فوكس) وكانت تنادى بالسلام ، إلا أن طابع اهتزازهم المتكرر أثناء الصلاة منحهم هذا الاسم الذى يعنى (المهتزون) ..

لقد توفى أبوه وهو صغير السن وكانت أمه عاملة فلم يكن يراها إلا أيام الأحد تقريبًا .. وكان يذهب إلى المكتبة .. الآن يستعيد هذه المشاعر فى مزيج من الحنين والألم ..

إنه عالم مضاء بشكل مبهر .. أضواء فلورسنت من السقف تطل على مناضد صغيرة تراصت إليها مقاعد مناسبة للأطفال . فى هذا العالم يصير الكبار غرباء حشريين .. لو حاولوا الجلوس لرفعوا المناضد على ركبهم .. سوف يهشمون جماجمهم لو انحنوا ليشربوا من نافورة الماء فى ركن المكان . السقف منخفض أكثر مما يريح الكبار لكن ليس إلى درجة أن يخنق الأطفال .

لا توجد كتب كثيبة التجليد ولكن توجد صفوف من الألوان البراقة الصارخة . هنا يصير د . (سويس Seuss) ملكا وتصير (جودى بلوم Blume) الشعور القديم بأن الكتب تتوسل لك كى تمسك بها .. تفتحها ..

هناك صورة لكلب لطيف على الجدار كتبت تحتها أصدق حقائق الحياة : من الصعب أن تكون طيبًا .. نظر (سام) إلى اليسار فرأى صورة جعلت البسمة تموت على شفتيه .. صورة سيا

KUWAITUP.COM

بسرعة خارج بناية مدرسة ومن وراء نافذتها يطل وجه طفل مذعور يصرخ .. ووراء عجلة القيادة خيال مظلم لرجل كبير مخيف .. وتحت الصورة كتبت عبارة :

ـ لا تقبل توصيلة من الغرباء !

بالطبع على الأطفال ألا يقبلوا توصيلة من الغرباء ، ويجب أن يتعلموا هذا بوضوح .. لكن هل هذه هى الطريقة المثلى لتعليمهم هذا ؟! كم طفل قضى أسبوعًا من الكوابيس بفضل هذه الصورة !

KUWAITUP.COM

كانت هناك صورة أخرى لطفلين مذعورين يقف أمامهما رجل يلبس معطفًا وقبعة .. لابد أن طوله لايقل عن مترين بينما ظله يسقط عملاقًا على الطفلين .. عينا الرجل تتوهجان فى ظل قبعته بينما هو يمسك شارة فى يده .. والعبارة تحت الصورة تقول :

ـ « احترس من شرطى المكتبة ! أعد الكتب فى موعدها »

فجأة ! سمع صوتًا من خلفه يقول :

ـ « مرحبًا بك .. »

هكذا استدار بسرعة متأهبًا للقتال مع تنين المكتبة الذى قرر الظهور الآن ..

٢

لم يكن هناك تنين .. فقط امرأة مكتنزة فى الخامسة والخمسين ذات شعر أبيض ، تدفع عربة صغيرة عليها كتب ، وقالت :

ـ « أحسبك تبحث عنى .. هل أخبرك مستر (بيكام) بمكانى ؟ »

ـ « لم أر أحدًا قط »

ـ « إذن لابد أنه ذهب لبيته .. لا يدهشنى هذا فى يوم الجمعة . إنه يأتى ليكنس المكتبة ويقرأ الجريدة .. فهو الفراش .. لكنك تعرف كم أن جرائد الجمعة هزيلة ! »

KUWAITUP.COM

ـ « أعتقد أنك أمينة المكتبة ؟ مس (لورنز) ؟ »

ـ « وأنت (سام بيلز) ؟ العقارات والتأمين .. هذه لعبتك ! يؤسفنى أنك لم تلق أحدنا .. نحن اثنان فقط هنا لأن العمدة قد خفض نفقات المكتبة .. فقط نصير ثلاثة فى وقت خروج المدارس ؛ لأن الأطفال هم أهم عملائنا وأكثرهم إخلاصًا »

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

بدأ يشرح لها مشكلته .. إن خطيب الحفل قد حطم عنقه وعليه هو أن يلقى خطبة الروتارى الليلة .. كانت تصغى له باهتمام لكنه لم يستطع أن يرتاح لها .. كان هذا غريبًا بالنسبة لرجل بيزنس مثله يتعامل بحرارة (وإن كان بسطحية) مع كل الناس ..

- « كتبت الخطبة وقرأتها تلك الفتاة التى تقوم بالاختزال لى .. و ... »

KUWAITUP.COM

- « (ناعومى هجنز) على ما أظن .. »

- « هل تعرفينها ؟ »

- « نعم .. تأتى لتأخذ الكتب الرومانسية من عندى .. تقول إنها لأمها لكن أعتقد أنها تقرؤها بنفسها .. إنها السكرتيرة الوحيدة هنا ويبدو أنها الشابة التى تتكلم عنها .. »

ابتسم لهذه المعلومة .. إن (ناعومى) لها عينا من يقرأ القصص الرومانسية سرًا على كل حال ..

- « (ناعومى) ترى أن الخطبة جافة وأن على أن أضيف لها شيئًا من كتاب ما .. »

- « إذن أعتقد أنك تبحث عن كتاب (رفيق الخطباء) .. »

- « هل فيه نكات ؟ »

- « فقط ٣٠٠ منها .. »

ثم أمسكت بيده تقتاده إلى الخارج ، قائلة :

- « من هنا يا (سام) .. سوف تنتهى مشاكلك حالاً .. فقط آمل أن تزور مكتبتنا بشكل طبيعى بعد هذا من دون حاجة إلى مشكلة فى كل مرة .. إنها صغيرة لكنها ممتازة »

واقتادته إلى القاعة الواسعة الكئيبة فأضاءت عدة مفاتيح ليغمر ضوء مبهج المكان ..

- « لا تؤاخذنى .. إن الجو يكون كئيبًا من دون أضواء هنا ، لكن العمدة يحدث صخبًا [illegible] رباء عندنا .. يمكنك أن تتخيل ذلك »

ودخلت لتفتش بين الرفوف عن الكتاب .. وقف (سام) شاعرًا بأنه ما زال فى الصف الرابع .. صبى معاقب فى الصف الرابع لذا لا يستطيع اللعب مع أصحابه .. الأغرب أن المكتبة خالية تمامًا

KUWAITUP.COM

أن تكون مزدحمة لكنه توقع على الأقل أن يرى رجلاً على المعاش يتصفح جريدة .. حتى مستر (بيكام) قد فرغ من الجريدة وعاد للدار .. لأن جرائد الجمعة تكون هزيلة كما تعلم ..

غريب أنه لم يحب هذه المرأة اللطيفة قط .. لكنه يعرف أن السبب هو الملصقات التى رآها .. أنت لست مستعدًا لتحب أى شخص يعلق ملصقات كهذه فى مكتبة أطفال ..

KUWAITUP.COM

نظر للجدار فوجد عبارة مقتبسة من (إمرسون) تقول : لو أردت أن ترى كيف يعامل الرجل زوجته وأطفاله فلتر كيف يعامل كتبه ..

لم ترق له العبارة لأنه كان يفترض أن الرجل يعامل زوجته وأطفاله أفضل قليلاً من الكتب .. مهما كان الأمر ..

هنا عادت مس (لورتز) ، وقالت وهى تبتسم :

ـ « أعتقد أننى وجدت ضالتك . »

فى الحقيقة لم يحب ابتسامتها ، ثم عرف أن السبب هو أن عينيها لا تبتسمان أبدًا ..

وناولته كتابين ، أحدهما كان (رفيق الخطباء) والآخر كان (أكثر الأشعار شعبية لدى الأمريكيين) .. الكتاب الأخير قامت باختيار أشعاره امرأة تدعى (هيزيل) تزعم أنها وضعت أصابعها على نبض حياة الأمريكيين . نظر للكتاب فى شك ، فقالت المرأة :

ـ « نعم .. تبدو عتيقة الطراز لكنها كتب ممتازة صدقنى .. مثلاً صفحة ٦٥ من هذا الكتاب ـ إن لم تخنى الذاكرة ـ فيها فصل بعنوان (الإلهام) .. وهو مخصص للخطباء المبتدئين .. إن مقطوعة صغيرة من الشعر سوف تلتصق بذهن الناس حتى لو كانوا ثملين .. سوف تجد فى الفصل الثالث خطة للحصول على اهتمام مستمعيك .. تليينهم .. ثم تنعيمهم .. ثم السيطرة عليهم . »

KUWAITUP.COM

قال (سام) لنفسه : يبدو هذا كتيبًا لتعليم زير النساء (الجيجولو) .. لكنه قال لها :

ـ « فقط أنا أتساءل .. جئت هذه المكتبة لغرض معين ، وهأنذا قد ظفرت بما أريد بالضبط .. كم [illegible]

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

يحدث هذا فى الحياة ؟ كم مرة ظفرت بقطع اللحم التى تريدينها بعنف من الجزار ؟ »

ـ « سأعتبر هذه مجاملة .. »

ـ « إنها كذلك .. »

ـ « أخشى أن هذا لن يغير حقيقة أنك مدين لى بدولارين .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « هذه تكاليف استخراج بطاقة استعارة للكبار لكنها صالحة لمدة ثلاثة أعوام .. والتجديد بخمسين سنتًا .. هل هى صفقة ؟ »

ـ « تبدو كذلك لى .. »

ـ « إذن اتبعنى من هنا لننهى الإجراءات »

KUWAITUP.COM

٣

ملأ البيانات التى طلبتها منه ، فقالت له :

ـ « كان يجب أن تكون متزوجًا .. »

ـ « ومن قال لك إننى لست متزوجًا ؟! »

ـ « نفس الطريقة التى عرفت بها أننى غير متزوجة .. لا يوجد شىء فى الإصبع الثالث الأيسر ! والآن دولاران من فضلك »

ثم استخرجت له بطاقة ذات لون برتقالى فاقع ووقعت باسمها تحت بياناته .. لاحظ أن اسمها الأول (أرديليا) .. بدا له اسمًا جميلاً وغير مألوف ..

قالت له ، وهى تصور البطاقة على جهاز الميكروفيلم :

ـ « يمكنك الاحتفاظ بالكتب لأسبوع واحد .. لأنها من قسم (المراجع) .. هذا قسم ابتكرته بنفسى للكتب التى تطلب بإلحاح .. تأكد من إرجاع الكتابين قبل السادس من إبريل »

وفجأة خيل إليه أنه يرى شيئًا عجيبًا .. للحظة بدا كأن عينى (أورديليا لورنز) تلمعان .. كأن هناك عملتين فى عينيها ، وقالت باسمة :

ـ « وإلا اضطررت لإرسال شرطى المكتبة فى أثرك »

KUWAITUP.COM

٤

للحظة تلاقت عيناهما فخيل لـ (سام) أنه يرى (أرديليا لورتز) الحقيقية، فلم يكن هناك شيء جذاب أو ناعم فيها. فكر فى أن هذه المرأة خطرة ثم استبعد الفكرة، وقد فسرها بالجو الكئيب وتوتره بصدد الخطبة.

على الباب قال لها:

ـ « ثمة ملحوظة بصدد تلك الملصقات المعلقة فى غرفة قراءة الأطفال .. »

ـ « آه .. تعنى شرطى المكتبة و(سام) الساذج ؟ هكذا يسميه الأطفال لأنه ساذج وركب السيارة مع شخص غريب .. »

ـ « هذه الصور .. تبدو لى مفزعة خاصة حينما يراها الأطفال .. »

ـ « لكنها فعالة .. ألا ترى هذا معى ؟ لست أنت أول من انتقد هذه الصور .. لست أول شخص بالغ لم ينجب أطفالاً يبدى هذا التعليق .. »

كانت لهجتها توحى باللوم .. بأنه حصل على ما يريد ثم قرر أن يتسلى بانتقاد طريقتها فى إدارة المكتبة ..

أردفت المرأة:

ـ « لقد أجرينا استفتاء بين الأطفال من رواد المكتبة العام الماضى .. هذا جزء مهم من عملنا .. اتضح أن الفيلم المفضل لدى الأطفال هو (كابوس فى شارع إلم ـ ٥) وأفضل فرقة غنائية تدعى (المسدسات والأزهار) .. أفضل قصة قرءوها كانت تدعى (أغنية البجعة) .. قصة مرعبة كتبها رجل يدعى (روبرت مكامون) .. هذه القصة قرأ الصبية كل نسخة منها حتى تحولت إلى خرقة .. وحتى النسخة التى قمت بتجليدها سرقها صبى شرير .. »

ثم ضمت شفتيها، وقالت:

ـ « عن نفسى لم أر أى جزء من (كابوس فى شارع إلم) .. ولا يمكن أن أقرأ قصة لـ (مكامون) أو (ستيفن كينج) أو (ف س أندروز) .. هل تفهم ما أرمى إليه ؟ الملصقات التى نعلقها تأتينا من مجمع المكتبات القومى .. وهذا يموله دافعو الضرائب .. أى إنه يأتى منك ومنى .. »

KUWAITUP.COM
شبكة الكويت
KUWAITUP.com

اختفت النوافذ العلوية وحل محلها سقف مودرن معلق .. راح الناس ينظرون لـ (سام) فى حيرة وبعضهم ضحك خفية .. لكن (سام) لم يشعر بشىء لأنه كان ينظر للسقف فى ذهول حيث وقف وسط القاعة الرئيسة ..

ماذا فى ذلك ؟ لقد ركبوا سقفًا متحركًا وأجروا تجديدات .. المرأة لم تقل هذا .. لكن لماذا تقول لك؟ أنت لست عميلاً مهمًا أو منتظمًا .. لكن برغم هذا لا يصدق أن كل هذه التغييرات تمت فى أسبوع .. أنت فى المكتبة الخطأ ! فكر فى هذا لثانية ثم تراجع كما يثب القط فوق ظل .. لا يمكن أن تشيد البلدة مكتبتين .. دعك من أنه لن يضل الطريق ..

هنا فطن إلى أن كل واحد فى المكتبة كف عما يقوم به وراح ينظر له .. هكذا اتجه لرف المجلات وانتقى عددًا من (أمريكا اليوم) وراح يقلب فيه باهتمام مفتعل ..

عندما نسيه الناس ترك المجلة واتجه إلى قسم الأطفال .. على الباب لم يجد (ذات الرداء الأحمر) فى لحظة رعبها ، بل وجد أولاد أخى (دونالد دك) بالمايوهات يسبحون فى بركة كتب ..

KUWAITUP.COM

بالداخل وجد أن كل شىء تغير .. وفى ركن المكان وجد فتى وفتاة من طلبة الكليات ينظران له بدهشة .. قال لنفسه : كن حذرًا .. لا .. كن طبيعيًا .. لقد بدأ الجميع ينظر له الآن باعتباره نصف مجنون ..

هكذا سألهما فى أدب :

ـ « أنا أبحث عن أمينة المكتبة .. »

ـ « للأسف مستر (برايس) لا يأتى هنا مساء السبت »

تذكر ما قالته (ناعومى) من قبل ، فعاد يسأل :

ـ « أبحث عمن تدعى مس (أرديليا لورنز) .. »

قالت الفتاة فى أدب :

ـ « لابد أنك على خطأ .. لا أحد هنا يدعى (لورد) .. »

ـ « (لورنز) .. »

KUWAITUP.COM

بدت عليهما الدهشة ، وكان يرغب فى أن يصر على أنه قابلها هنا منذ ثمانية أيام ، لكنه عدل عن هذا .. هكذا رسم ابتسامة على شفتيه ، وقال :

ـ « سامحانى .. إننى أمر بيوم من تلك الأيام »

ـ « بالفعل .. »

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

قالتها الفتاة ففكر : إنها تحسبنى مجنونًا .. لكن هل تعرف ؟ أنا لا ألومها على ذلك ..

قال باسمًا :

ـ « أنا (سام بيلز) .. »

ومد يده يصافحهما فمدت الفتاة يدها له ، وقالت :

ـ « (سنثيا بيريجان) .. وهذا (توم ستانفود) .. أنا و(توم) ندرس فى كلية (شابلتون) .. أنا أعمل منذ ثلاثة مواسم دراسية . »

ـ « وهذا السقف المعلق هنا منذ زمن ؟ »

ـ « لا أعرف أن هذا اسمه .. لكن .. نعم .. هو هنا منذ أتيت أنا .. »

هنا قال الفتى :

ـ « نحن نغلق غدًا .. يمكنك أن تأتى يوم الإثنين لتقابل مستر (برايس) . »

ـ « بالفعل سأفعل هذا .. »

ـ « كنا نتمنى لو نستطيع مساعدتك .. »

ـ « أنا أيضًا تمنيت هذا .. »

KUWAITUP.COM

٣

كان بخير حتى ركب السيارة .. هنا تخلت عنه كل عضلاته واضطر للتمسك بسقف السيارة كى لا يسقط على الأرض .. وتهالك خلف عجلة القيادة وراح يتنفس بصعوبة متوقعًا أن يفقد الوعى .. ماذا يحدث هنا ؟ يشعر بأنه فى حلقة من مسلسل (رود سيرلنج Serling) القديم (منطقة الشفق) .. لكن الغموض يفقد أية متعة له عندما يتعلق الأمر بك ..

الناس تدخل وتخرج إلى ومن المكتبة وكل شىء يبدو طبيعيًا ..

كف عن التفكير .. غدًا فى ضوء الشمس ستجد منطقًا لهذا كله .. أدار محرك السيارة لكنه ظل يفكر فى الأمر طيلة الليل ..

KUWAITUP.COM

* * *

شبكة الكويت
KUWAITUP.COM

الفصل السابع

أهوال الليل

١

وقف مذعورًا أمام جهاز الرد على المكالمات .. هناك مكالمة مسجلة فهل هى منها ؟ من الصف الرابع إلى مستشفى المجانين .. هذا هو طريقه .. تمالك أعصابه وأدار الشريط فسمع (جو المدهش) يشكره على قيامه بالخطبة بدلاً منه ، ويخبره أن عنقه التوى ولم يهشم .. ثم يهديه مجموعة من التذاكر المجانية ..

معنى هذا أن مكالمة (جو) قد مسحت الشريط .. وهذا يعنى أن آخر أثر يثبت أن المرأة موجودة قد اختفى .. لكن ماذا عن كارنيه المكتبة ؟ ألا يحمل توقيع المرأة ؟ هنا تذكر أنه لن يجده لأنه كان قد وضعه فى كتاب (أكثر القصائد شعبية) ..

هو لم يجن .. لكن لو لم يجد تفسيرًا فلسوف يحدث هذا ..

هكذا جلس ووضع يده على رأسه .. وشعر ببدايات الصداع ..

٢

كان يسخن على الموقد علبة من الحساء أملاً فى أن تزيل الصداع عنه ، عندما خطرت بذهنه (ناعومى هيجنز) .. (هيجنز) .. الفتاة التى تشبه اللوحة التى رسمها (ديف) .. وتساءل عما إذا كانت لها حياة سرية تحت اسم (سارة) ..

(ناعومى) بدا أنها تعرف (أرديليا) .. لقد بدأت الكلام عنها عندما دق جرس الهاتف .. هذا مؤكد .. هناك ثقب فى رأسه يمكنه أن تلقى فيه أشياء وتنتظر حتى تسمع صوت الـ (سبلاش) ..

حاول الاتصال بها لكن أمها غير الودود قالت له إنها بالخارج .. وإنها ستكون فى الكنيسة غدًا .. لا تترك مذكرات لها لأنى سأنام الآن ولا أستطيع الكتابة بسبب التهاب المفاصل ..

تناول الحساء ثم قرر أن ينام .. كان بحاجة إلى رحلة لعالم النسيان ..

لكن النوم لم يأت .. كان يشعر بأنه موشك على فقدان عقله ، وقد أثارت هذه النقطة رعبه .. كان يرى

3tt3.net

فى السينما رجلاً يمسك برأسه ، ويقول للطبيب النفسى : يبدو أننى سأفقد عقلى يا دكتور .. هكذا كان يحسب فقدان العقل والصداع شيئين متقاربين ..

لم يكن الأمر كذلك .. بل هو أقرب إلى أن تمد يدك لتهرش جزءًا من جسمك فتجد بدلاً منه ورمًا سرطانيًا ضخمًا ..

لقد بدأ يشك فى كل شىء .. موضوع (سارة) التى تحسن للمنبوذين وهى فى الحقيقة (ناعومى) .. النمو المذهل فى أعماله .. هل كل هذه تهيؤات ؟!

بعد منتصف الليل ساءت الأمور أكثر .. لقد راح يفكر فى (أرديليا لورتز) .. يتصورها فى الخزانة أو تحت الفراش .. رآها تضحك فى الظلام وشعرها مفكوك حول كتفيها كأنه جمة مفزعة .. تمد يدها طويلة الأظفار نحوه .. تصور كيف ستصير عظامه (جيلى) لو أنها بدأت تهمس له ..

أنت أضعت الكتب يا (سام) فلم يعد لدى إلا شرطى المكتبة ..

هنا صار النوم مستحيلاً .. مد يده يضىء المصباح بجوار الفراش ..

لا تقلق .. فلن تلبث أن ترى شرطى المكتبة .. وربما الوحش (جورجو) كذلك .. لم لا ؟؟ لا توجد مشاكل فى الهلوسة بالنسبة لشخص تخيل زيارة كاملة للمكتبة ومقابلة مع امرأة لا وجود لها ..

بحث عن أقراص منوم فلم يجد لذا قرر أن يرتجل .. سخن بعض اللبن على الموقد ثم صبه فى كأس .. وأضاف له بعض البراندى كما رأى فى الأفلام . ذاق رشفة من السائل الكريه ثم ألقاه فى الحوض .. الساعة الواحدة صباحًا .. ما زال الوقت طويلاً حتى الصباح .. وقت طويل من تخيل (أرديليا) وشرطى المكتبة يتسلقان الدرج والسكاكين بين أسنانهما .. أو سهام .. سهام طويلة سود .. لماذا سهام ؟ لا يعرف ..

قال لنفسه إنه لا يريد أن يعرف .. وعاد للفراش ..

3tt3.net

٣

ترك المصباح مضاء فبدد هذا بعض مخاوفه .. وقدر أنه قد ينام قبل أن يفنى الكون أخيرًا ..

لابد أن شيئًا مما رآه حدث فعلاً .. ليست كلها هلاوس ما لم أكن الآن فى مستشفى المجانين ، ألبس القميص وأرقد فى زنزانة مبطنة ، وأتخيل أننى هنا فى فراشى .

(ناعومى) سمعت عن (لورنز) .. معنى هذا أن هناك آخرين فى البلدة سمعوا عنها .. ليس الطلبة فى (شابلتون) ولكن كبار المواطنين ..

عند هذه النقطة عبر الحاجز الواهى بين النوم والصحوة .. وغرق فى الكوابيس ..

عندما صحا من النوم كان غارقًا فى العرق وقد انتزع أغطية الفراش جميعًا من موضعها .. وكانت الساعة جوار الفراش تقول ٤٥ : ٥ .. كان رأسه يؤلمه بشدة .. نهض للحمام وقضى حاجته .. ثم عاد للفراش ورقد بانتظار انتهاء تأثير الكابوس ..

* * *

الفصل الثامن

شارع الزاوية

١

وصل لشارع الزاوية فى منتصف الثانية عشرة .. ولم يندهش لرؤية سيارة (ناعومى) الداتسون الزرقاء تقف هناك . وقف خلفها واتجه إلى البناية العتيقة التى يتخذها المشردون مأوى ، ودق الباب .. فلما لم يرد أحد عليه فتحه .. كان المكان خاليًا ما لم يعتبر الهاتف على الجدار أثاثًا ..

كان أول باب على اليسار مفتوحًا وقد كتب عليه : (أصدقاء بيل يدخلون من هنا)! وتحتها لافتة أخرى بدت سخيفة بلا معنى بالنسبة لـ (سام) .. كانت تقول :

ـ الوقت يستغرق وقتًا !

كان الباب يطل على غرفة رئيسة بها أريكة ومقاعد محطمة تم إصلاح بعضها بالـ (سلوتيب) ..

واصل (سام) المشى شاعرًا بأنه متطفل .. رائحة المكان كريهة حتى قدر أن شخصًا مات هنا منذ زمن

3tt3.net

أو أن شخصًا سيموت قريبًا . كان هناك مطبخ عتيق به حوض صدئ .. وثلاجة متداعية .. ومن النافذة الخلفية رأى حديقة لا بأس بها .. لا تحوى الكثير لكن سكان شارع الزاوية اعتنوا بها ..

كان هناك نحو نصف دستة من سكان الشارع يجلسون فى مقاعد هناك فى تلك الحديقة .. استطاع أن يميز (ناعومى) و(ديف) والرجلين اللذين قابلهما أمس (لوكى) و(رودلف) .. ثم أدرك أنه يرى معهم أكثر محامى البلدة ثراء (بيرت إيفرسون) .. و(إلمر باسكين) رجل المصرف الذى لم يحضر خطبته فى نادى الروتارى لكنه اتصل به يهنئه فيما بعد .. وهب النسيم يطير الستائر التى تحيط بالنافذة التى يقف خلفها (سام) ..

كل هذا غريب .. أن تجلس (ناعومى) مع سكيرى البلدة باسم مستعار .. وأن يرى أغنى رجل مصارف وأغنى محام هنا كذلك .. كل هذا يبدو كأنه حلم ..

وقف رجل يلبس سترة خضراء طالبًا الكلمة ؛ فسمح له (رودلف) بذلك :

ـ « اسمى (جون) .. وأنا مدمن كحول »

تراجع (سام) عن النافذة وقد بدأ يشعر بأنه ليس متطفلاً فقط بل هو جاسوس كذلك .. واضح أن هذه جلسة علاج جماعى لجمعية AA (مدمنون مجهولون) التى تعالج المدمنين سرًا .. أمها تعتقد أنها فى اجتماع للكنيسة لكنها فى الواقع هنا .. كيف كنت أستطيع معرفة أنها مدمنة كحول تحاول الشفاء ؟ هل أنا أقرأ الأفكار؟ ربما لهذا تحاشت كل عروضه للتقرب منها ؛ لأنها تخشى أن يعرف ..

وهل يعنى هذا أن رجل المصرف والمحامى يعانيان ذات المشكلة الخطرة ؟ هو فقط يعرف شيئًا واحدًا .. إن حرف A يعنى Anonymous (مجهول) .. وهذا يعنى أن الرجلين يمكن أن يسحقاه لو عرفا أنه عرف .. وهما قادران على تدمير أعماله الصاعدة فى هذه البلدة ..

يجب أن يرحل فورًا .. هو لا يرغب البتة فى التنصت على هؤلاء القوم .. ولا معرفة المزيد ..

هكذا اتجه إلى باب الخروج ، وكتب مذكرة لـ (ديف) :

3tt3.net

(ديف) .. مررت عليك بالصدفة فلم أجد أحدًا . حسبت أنه بوسعك أن تساعدنى بصدد امرأة تدعى (أرديليا لورنز) .. أريد معرفة كل شىء عنها .. هلا اتصلت بى هذه الليلة ؟ رقمى هو ٥٥٥٨٦٩٩ .. شكرًا »

وضع الورقة فى مظروف ووضعه فوق جهاز التليفزيون .. فكر فى ترك ربع دولار ثمن المكالمة مع المظروف لكنه عدل عن ذلك حتى لا يعتبرها (ديف) إهانة .

وعاد إلى سيارته مسرورًا لأن أحدًا لم يره ..

٢

عند العصر تقلب إرهاق البارحة على (سام) فبدأ ينعس على الأريكة وهو يشاهد مباراة (بيزبول) مملة ، عندما دق جرس الهاتف ؛ فنهض شاعرًا بعدم الاتزان ..

كان هذا (ديف) يسأله :

ـ « ألم تقل إنك تريد معرفة شىء عن تلك المرأة ؟ »

قالها بلا تمهيد .. وكان صوته يرتجف كأنما فقد السيطرة على نفسه ..

ـ « ليس من مصلحتك مجرد التفكير فيها !! »

زال النعاس عن عين (سام) على الفور .. ما شأن هذه المرأة ؟ الناس يتعاملون معها إما كأنها الشيطان أو كأنهم لم يسمعوا عنها قط .. من هى بالضبط ؟

ساد صمت طويل حتى كان ليعتقد أن الخط قطع لولا صوت تنفس (ديف) المهشم المتعب ..

عاد العجوز يتكلم :

ـ « مستر (بيلز) .. أنت كنت طيبًا معى وكذلك الآخرون الذين ساعدونى على البقاء حيًا برغم أننى غير واثق مما إذا كنت أريد ذلك .. نصيحتى لك ألا تتكلم عنها معى ولا مع أى واحد آخر »

ـ « هذا يبدو تهديدًا »

ـ « لا .. ليس كذلك .. أنا أفعل ما كنت سأفعله لو رأيتك تمشى نحو بئر والعشب نام بحيث لا ترى قدميك .. لا تتكلم عنها ودع الموتى موتى كما هم ! »

دع الموتى موتى كما هم .. لم يثر هذا دهشته .. كل شىء باستثناء الرسالة على آلة الرد على المكالمات يدل على الشىء ذاته : (أرديليا لورنز) ليست فى عالم

3tt3.net

الأحياء .. هو وحده من بين الأحياء تحدث معها .. لا .. بل أجرى صفقة معها ودفع لها دولارين ..

لكن هذا لا يمنع من أن يصير جلده كجلد الإوزة ، وأن تسرى قشعريرة على الطريق السريع الأبيض فى عموده الفقرى ..

ـ « هل معنى هذا أنها ميتة ؟ »

كان صوت (ديف) أقرب للجنون الآن :

ـ « لا أريد الكلام عن هذا يامستر (بيلز) .. أرجوك !! »

قال (سام) لنفسه : دعه فى حاله .. ألا ترى أنه يعانى ما يكفيه من متاعب ؟

هنا تذكر شيئًا آخر فسأل الرجل :

ـ « رأيت فى المكتبة ملصقًا يمثل طفلاً خائفًا يصرخ من زجاج سيارة .. لقد عرفت أسلوبك فى الرسم على الفور .. فهل ..؟ »

صرخ الرجل :

ـ « انس الموضوع ! أرجوك أن تنسى الموضوع فلم يكن فى يدى شىء !! »

وابتعدت صرخاته ؛ إذ أخذ أحدهم السماعة منه ، ثم جاء صوت (ناعومى هيجنز) تقول :

ـ « دعه وشأنه .. ألا تستطيع أن ترحمه أيها الرجل المخيف ؟ »

ـ « (ناعومى) . أنا .. »

ـ « ما دمت هنا فاسمى (سارة) .. لكن كلا الاسمين يكرهانك .. ولن أضع قدمى فى مكتبك ما حييت ! »

قال لها ، وأعصابه تفارقه :

ـ « لماذا أرسلتينى للمكتبة يا (ناعومى) ما دمت لا تريدين لى أن ألقاها ؟ لماذا ؟ »

دوت شهقة من الطرف الآخر .. ثم وضعت السماعة ..

هكذا ظل فى المكتب حتى التاسعة والنصف يدون اسمًا تلو الآخر على نفس المفكرة التى كتب فيها خطاب الروتارى . إن ستة أعوام فترة طويلة لكنها لم تعد كذلك .. كأنه أمضى فى البلدة يومًا واحدًا لا أكثر .

3tt3.net

يريد من يجيب عن أسئلته بوضوح بصدد (أرديليا لورنز) .. لكنه لا يجد صديقًا حميمًا بما يكفى ..

لم تكن (أرديليا) شبحًا فحسب .. كانت شبحًا داخل شبح .. فالمكتبة لم تكن ذات المكتبة .. كان الأمر كالسفر عبر الزمن .. لقد دخل المكتبة العتيقة كما كانت منذ أعوام وهذا يفسر غرابتها ..

* * *

همسه غلا
منتديات ليلاس

الفصل التاسع

شرطى المكتبة

كان نومه هادئًا بلا كوابيس ، وفى الصباح جاءته فكرة تحت (الدش) من طراز الأفكار التى تواتيك حينما يستريح جسدك ، لكن عقلك لم يفق بعد لتشغله القاذورات اليومية . لم تكن المكتبة هى المكان الأوحد للمعلومات خاصة إذا كانت معلومات محلية ..

ـ « الجريدة الرسمية ! »

وصرخ ووضع رأسه تحت الماء ليغسل الصابون ..

خلال دقائق كان فى الطابق السفلى يشرب القهوة وبدأ يكتب فى القائمة :

١ـ من هى أرديليا لورنز ؟

٢ـ ماذا فعلته أرديليا لورنز ؟

٣ـ هل جددت مكتبة المدينة ؟ متى ؟ صور ؟

3tt3.net

هنا دق جرس الباب فنظر للساعة .. إنها الثامنة والنصف .. سوف يقصد الجريدة فى العاشرة موعد القهوة .. بحث عن عملة فى جيبه من أجل بائع الصحف، واتجه للباب الخلفى بينما الجرس يدق ثانية ..

ـ « أنا قادم يا (كيث)! لا تحدث ثقبًا فى الـ .... »

لكنه وجد أنه ينظر لشىء أكبر من (كيث) من خلال النافذة المغطاة بالستار الخاصة بالباب. شعر بقشعريرة .. لا حاجة له لرؤية الوجه فحتى من هنا يدرك الشكل العام للواقف بالخارج .. والمعطف .. نزع يده عن المقبض لكنه تأخر لأن اللسان غادر القفل .. وفى اللحظة التالية دفع القادم الباب ليفتحه. وهنا سقط (سام) للوراء ودخل شرطى المكتبة.

دخل ببطء كأن عنده كل الوقت فى العالم .. وفى يده كانت الجريدة ..

ـ « جئتك بالجريدة .. كنت سأدفع للولد بقشيشًا لكنه خاف وجرى .. »

كان صوته بعيدًا كأنه يتكلم من وراء حاجز زجاجى .. تراجع (سام) وقال لنفسه : انا أتخيل هذا .. هذا كابوس مخيف لا أكثر ..

لكنه لم يكن كابوسًا .. كان مخيفًا لكنه ليس كابوسًا ..

كان سقف بيت (سام) عاليًا لكن شرطى المكتبة اضطر لأن يحنى رأسه .. معنى هذا أن طوله يتجاوز مترين .. كان جلده أبيض ووجهه جامدًا يدل على أنه لا يفهم الحب ولا الرحمة .. عيناه أقرب لقطعتى عملة ثقبتهما طلقات الرصاص .. والأسوأ أن (سام) كان يذكر انه رأى هذا الوجه .. هناك ندبة على حاجز الأنف تمتد لما تحت العينين .. السهم الأسود .. (ر. ل. ستيفنسون) .. ما الذى ذكره بهذه القصة ؟ رائحة الريسوس هذه .. من أين جاءت ؟

قال الشرطى بصوت عميق :

ـ « تعال معى يا بنى .. فأنا شرطى .. »

إنه يشبه الرجل فى الملصق أو لعله هو بنفسه .. وسرعان ما بلل (سام) سرواله .. لكن هذا بدا بلا أهمية .. المهم أن (سام) يعرف هذا الوجه .. باب فى مؤخرة وعيه يحاول جاهدًا أن ينفتح .. لكن لا وقت لهذا .. إنه يتراجع .. ينكمش على نفسه .. لم يفكر فى الهرب .. مستحيل .. نظر للأرض ودعا الله أن يرفع رأسه فيجد الشخص قد مضى ..

3tt3.net

- « انظر لى ! »

- « لا .. »

صرخ (سام) فى ذعر .. وبكى .. مد الشرطى يده فى معطفه وأخرج ملفًا جلديًا .. التمعت شارته التى تبدو كنجمة متعددة الرءوس فى ضوء الصباح ..

- « لديك كتابان يخصان المكتبة »

- « لقد فقدتهما ! »

قالها وهو يبكى .. لم يستطع الكذب على الرجل .. لقد كان كله قوة .. كله سطوة .. كان كله قاضيًا وجلادًا ..

- « أنا .. أنا .. »

- « لا أريد سماع أعذارك »

ومد يده لجيب معطفه وأخرج سكينًا لها نصل طويل حاد ، وقد عرفها (سام) على الفور .. إنها فتاحة صناديق .. هناك واحدة منها فى كل مكتبة فى الولايات المتحدة ..

- « سأمهلك حتى المساء .. »

وانغرس طرف السكين فى حنجرته .. وانحدرت قطرة دم هناك .. ثم عادت السكين لمعطف الرجل ..

- « عندما أعود فمن الأفضل أن تجد ما فقدته .. وهناك شىء آخر .. أنت تسأل أسئلة .. لا تفعل هذا .. تذكر أننى أراقبك .. »

- « لن أفعل .. لن أفعل .. »

استدار الرجل ولم يلق أية نظرة على (سام) .. توارى عبر ضوء الشمس ولم يلق نظرة أخرى على (سام) .. لاحظ (سام) شيئًا مرعبًا .. الرجل لا ظل له ..

فكر (سام) فى غلق الباب لكن قواه تخلت عنه وغاب عن الوعى ..

* * *

3tt3.net

الفصل العاشر

بالترتيب الزمني

١

سألته موظفة الاستقبال :

- « هل لى أن أساعدك ؟ »

وأعادت النظر إلى الرجل الذى دنا منها .. فقال لها (سام) :

- « أريد أن أراجع بعض النسخ القديمة من الجريدة الرسمية .. »

- « هذا ممكن لكن اسمح لى .. هل أنت على ما يرام ؟ أنت شاحب جدًا .. »

- « ربما أنا على وشك الإصابة ببرد .. »

- « رأيت صورتك فى الصحيفة لكن وجهك كان مختلفًا .. أنا (دورين مكجيل) .. »

ومدت يدًا مكتنزة تصافحه .. واقتادته إلى البدروم حيث ثلاثة أجهزة ميكروفيلم .. شعر بأن المكان يشبه المشرحة وكذلك كان اسمه فعلاً .. كان كل ظل يثير هلعه ثم تذكر أن شرطى المكتبة لا ظل له .. هكذا هدأ قليلاً ..

قالت وهى تشير إلى الجهاز :

- « هكذا يتحرك الميكروفيلم بالترتيب الزمنى .. لو أردت شيئًا فاطلبنى .. »

وصعدت الدرج فقاوم رغبة عاتية كى يلحق بها .. برغم حداثة المكان فقد كان مجرد مكتبة أخرى من مكتبات مدينة (جاتكشان) اللعينة ، وكانوا يطلقون عليها اسم (المشرحة) ..

الشرطى طلب منه ألا يسأل أسئلة ، وهو قد فعل هذا .. لم يسأل .. فهل يعتبر مجيئه لهنا إخلالاً بالاتفاق ؟

3tt3.net

٣

لو صرخ لأثار هلعها لكنه لم يفعل .. فقط خرج الهواء من صدره كأنه أوكورديون داس عليه فيل .. نظر للوراء وقد شعر بأن أعضاءه لينة كالمكرونة ، فقط ليجد (ناعومى هجنز) ..

ـ « (سام) ؟ هل هذا أنت ؟ »

حاول أن يقول شيئًا لكن الغرفة راحت تتراقص ، وأدرك أنه سيفقد وعيه .. كانت تنظر له برعب لا يوصف وتردد :

ـ « ماذا دهاك ؟ »

ثم وهى تتراجع :

ـ « ذهبت للمكتب فقالوا لى إنهم يعتقدون أنك هنا .. أردت أن أعتذر لك .. فكرت أنك كنت تتسلى على (ديف) لكنه قال إن هذا لا يصدر عنك .. وإنك كنت دومًا لطيفًا معه .. »

ثم فكرت قليلاً وقالت :

ـ « (سام) .. أحسب أن عليك أن تفهم شيئًا عنى وعن (ديف) .. أحسبك تعرف موضوع (ديف) لكن بصددى أنا .. »

ـ « أعتقد أننى أعرف .. لقد رأيتك من النافذة فى (شارع الزاوية) .. »

ـ « نعم .. فهمت . لكن ماذا حدث لشعرك ؟ »

شعرى ؟ كانت تخرج له مرآة صغيرة من حقيبتها لكنه كان قد خمن ما هنالك قبل أن يراه .. منذ الثامنة والنصف صباح اليوم صار شعره كله أبيض ...

٤

فى سيارتها الدانسون أثناء العودة من المكتبة سألته عما دهاه .. إن شعره لم يبيض فقط بل يبدو كأن وجهه تقدم فى العمر عشرين عامًا .. قال لها :

ـ « ما أريد معرفته هو من هى (أرديليا لورتز) .. أعنى ما أقول فعلاً .. »

أوقفت السيارة وقالت وهى تنظر له :

ـ « إذن أنت لم تكن تمزح ؟ »

3tt3.net

ـ « (ناعومى) .. إنه جزء مما حدث لى »

ـ « مستحيل »

قالتها بنغمة (دعنا ننهى المناقشة) .. وأضافت وهما يقتربان من (شارع الزاوية) :

ـ « حاول أن تفهم الأمر .. لو عاد (ديف) لتعاطى الكحول لمات .. تذكر هذا .. لا أعرف إن كان أهل الأرض قادرين على فهم ما أقول »

ـ « أهل الأرض ؟ ماذا تعنين بهذا ؟ »

ـ « الناس الذين لا يشربون الخمر ولا توجد عندهم مشاكل بصدد المخدرات أو الأقراص المهدئة أو أدوية السعال .. الناس القادرون على إصدار الأحكام .. »

قال لها :

ـ « أما أنا فمشكلتى هى كتابان فقدتهما وقد انتهيا وسط هذه المخلفات .. ولو لم يظهرا قبل منتصف الليل لظفر بى شرطى المكتبة .. عندها أستبعد أن تتبقى منى السترة التى ألبسها »

٥

فى شارع الزاوية قابلا (ديف) .. وحينما تكلم كان ينظر لـ (سام) فى ذهول ..

قال لهما :

ـ « لقد دنت نهايتى .. الخمر قضت على بنكرياسى وكبدى .. ومن الواضح اننى سآخذ إجازة أبدية قريبًا .. فقط أعرف أن هناك ذكريات معينة عشتها ، وهذه الذكريات تتعلق بامرأة اسمها (أرديليا لورتز) .. لقد خبأت هذه الذكريات فى بدروم قلبى .. ثم أغلقت بابًا عليها ثم أحكمت إغلاق الباب بالحديد وألقيت فوقه أغطية لتداريه .. أردت أن أنسى تلك المرأة وما جعلتنى أصنعه لها .. لكنك فى مشكلة يا صاحبى . هل تعرف هذا ؟ »

قال (سام) :

ـ « أعرف .. »

ـ « تعرف لكنك لا تتصور أبدًا مدى الورطة .. لهذا يجب أن أتكلم وليس لأننى أرغب فى ذلك .. أمس تذكرت وجهها وكيف تغطى بتلك الخيوط الصغيرة ، وكيف تغير فمها .. تذكرت رائحتها .. هذه القذارة يجب أن تنتهى .. »

3tt3.net

ـ « (ناعومى) .. إنه جزء مما حدث لى »

ـ « مستحيل »

قالتها بنغمة (دعنا ننهى المناقشة) .. وأضافت وهما يقتربان من (شارع الزاوية) :

ـ « حاول أن تفهم الأمر .. لو عاد (ديف) لتعاطى الكحول لمات .. تذكر هذا .. لا أعرف إن كان أهل الأرض قادرين على فهم ما أقول »

ـ « أهل الأرض ؟ ماذا تعنين بهذا ؟ »

ـ « الناس الذين لا يشربون الخمر ولا توجد عندهم مشاكل بصدد المخدرات أو الأقراص المهدئة أو أدوية السعال .. الناس القادرون على إصدار الأحكام .. »

قال لها :

ـ « أما أنا فمشكلتى هى كتابان فقدتهما وقد انتهيا وسط هذه المخلفات .. ولو لم يظهرا قبل منتصف الليل لظفر بى شرطى المكتبة .. عندها أستبعد أن تتبقى منى السترة التى ألبسها »

٥

فى شارع الزاوية قابلا (ديف) .. وحينما تكلم كان ينظر لـ (سام) فى ذهول ..

قال لهما :

ـ « لقد دنت نهايتى .. الخمر قضت على بنكرياسى وكبدى .. ومن الواضح اننى سآخذ إجازة أبدية قريبًا .. فقط أعرف أن هناك ذكريات معينة عشتها ، وهذه الذكريات تتعلق بامرأة اسمها (أرديليا لورتز) .. لقد خبأت هذه الذكريات فى بدروم قلبى .. ثم أغلقت بابًا عليها ثم أحكمت إغلاق الباب بالحديد وألقيت فوقه أغطية لتداريه .. أردت أن أنسى تلك المرأة وما جعلتنى أصنعه لها .. لكنك فى مشكلة يا صاحبى . هل تعرف هذا ؟ »

قال (سام) :

ـ « أعرف .. »

ـ « تعرف لكنك لا تتصور أبدًا مدى الورطة .. لهذا يجب أن أتكلم وليس لأننى أرغب فى ذلك .. أمس تذكرت وجهها وكيف تغطى بتلك الخيوط الصغيرة ، وكيف تغير فمها .. تذكرت رائحتها .. هذه القذارة يجب أن تنتهى .. »

3tt3.net

وارتفع صوته الغاضب إلى درجة الصراخ .. ثم نظر لـ (سام) وقال :

ـ « سوف أشرح لك لكن يجب أولاً أن تحكى لى كل شىء يا مستر (بيلز) فلا تغفل شيئا .. »

ـ « سأفعل لكن بشرط .. سوف تنادينى (سام) فقط .. »

ـ « لك هذا يا (سام) .. »

ـ « حسن .. لقد بدأ كل شىء بذلك الأكروبات الأحمق ..... »

٦

لم يتصور (سام) أن القصة بهذا الطول ، وكانت عينا (ناعومى) تتسعان كلما مضى فى القصة .. حتى عندما بلغ جزء ملصق (ذات الرداء الأحمر) قال (ديف) :

ـ « هذا هو الملصق الوحيد الذى لم أرسمه ، لكنها كانت معجبة به بشكل خاص .. »

واصل (سام) السرد حتى بلغ الجزء الخاص بشرطى المكتبة .. هنا انهارت قواه وبدا موشكًا على البكاء وراح يرتجف ..

قال لـ (ناعومى) :

ـ « هل لى فى كوب من الماء ؟ »

ـ « طبعًا .. »

وقبل أن تذهب لتحضر الماء من داخل البناية لثمته على خده .. كانت شفتاها دافئتين ناعمتين ، وهمست فى أذنه بكلمتين مقدستين :

ـ « أنا أصدقك »

٧

أمسك (سام) كوب الماء بيديه كى لا ينسكب .. وشرب جرعة كبيرة ثم سأل (ديف) :

ـ « هل تصدقنى أنت أيضًا ؟ »

ـ « نعم .. »

قالها (ديف) بلهجة من فرغ من أمر ما .. وأدرك (سام) أنه صادق فهو قد عرف (أرديليا) وواضح من وجهه أنها لم تكن معرفة طيبة ..

ـ « شرطى المكتبة الذى رسمته لها كان بلا ندوب على وجهه .. أنت أضفت هذه الندبة من ذكرياتك

3tt3.net

الخاصة وهذا يعنى أن عندك نموذجًا لشرطى المكتبة .. أما النجمة متعددة الرءوس كما تسميها ، فقد رأيتها فى المكتبة .. اسمها (صليب مالطة) وكان الفرسان الصليبيون يضعونها على صدورهم أيام الحملات الصليبية .. المفترض أنه كان لها تأثير سحرى .. والآن يا بنى دعنى أحك لك قصتى .. لم أحكها من قبل قط ولن أحكيها ثانية أبدًا .. لذا دعنى أتكلم »

* * *

همسه غلا

منتديات ليلاس

الفصل الحادى عشر

قصة ديف

١

لم أكن (ديف دنكان) السكير منذ ولدت .. فى أوائل الخمسينات كان هناك (ديف دونكان) البسيط الذى يحبه الناس .. كنت عضوًا فى ذات نادى الروتارى الذى خطبت أنت فيه .. ولم لا ؟ كنت رسامًا وخطاطًا .. كنت ما يسمونه هذه الأيام رسامًا جرافيكيًا لكن وقتها كان اسمى رسام إعلانات .. لم أكن قد درست .. جربت ورسبت لكن قلت لنفسى إن هناك فنانين كثيرين لم يظفروا بشهادات .. يتحدثون فى ٨٨ عن الأشخاص الذين يضعون ساقًا فى الماضى وساقًا فى المستقبل وهكذا يبولون على الحاضر .. لكن ليس بوسعى أن امنع نفسى من التفكير لو أن حياتى اختلفت قليلاً ..

كنت قويًا وغير متزوج وكان دخلى يكفينى .. كان هذا عندما جاءت (أرديليا لورتز) للبلدة .. لم تكن كما رأيتها أنت أمينة مكتبة عجوزًا .. كان شعرها أشقر

3tt3.net

وكانت جميلة .. وكان الرجال فى بروفيريا يلاحقونها .. أعرف انهم اليوم يقولون : عرفت منذ البداية أن شيئًا على غير ما يرام يحيط بتلك المرأة (لورتز) .. لكن أؤكد لك أن الأمر مختلف .. كانوا يحومون حولها كالذباب .. وقد ظفرت بوظيفة المكتبة بعد قدومها بشهر .. بالإضافة لهذا كانت تدرس للأطفال فى مدارس الأحد .. لا أعرف ماذا كانت تدرس ولا أحب أن أعرفه الآن لكنه لم يكن الإنجيل بالتأكيد .. برغم هذا كان الأطفال يحبونها ..

هنا التقت عيناى بها .. ربما لن تصدق ما أقول لكنى كنت شابًا وسيمًا وقتها . وكانت بطنى مسطحة مثل مكواتك الحديدية يا (سارة) ..

كانت تسكن فى بيت جوار الكنيسة وكان بحاجة لطلاء من الخارج .. هكذا قابلتنى وعرضت على أن أقوم بهذا العمل . كانت تلبس ثيابًا محتشمة تناسب امرأة عجوزًا لكن لم أقل إن عينيها كانتا كذلك .. لا ياصاحبى .. لم تكن عيناها كذلك ..

ثم نظر (ديف) لـ (ناعومى) وقال :

ـ « ربما كان عليك أن تنصرفى قبل هذا الجزء .. إن القصة ستسوء بعد قليل .. »

لمست كتفه وقالت :

ـ « استمر يا (ديف) .. »

هكذا انصرفت معها لدارها تاركًا كل الشباب واقفين على باب الكنيسة ينفخون ويسبوننى .. لم يعرفوا كم هم محظوظون ! لم تكن لديها سيارة فركبنا سيارتى الفورد وانطلقنا .. تخيل شابين فى طريق (ترومان) فى ظهر يوم من أيام الصيف وسط مليون فدان من قمح العم (سام) الذهبى على جانبى الطريق .. صوت القمح الغريب برغم أنه لا يوجد نسيم .. جدى كان يقول إن هذا صوت القمح إذ ينمو ..

توقفت بناء على طلبها لأنها صاحت وهى تشير باتجاه معين : هذا هو البيت .. هل تراه ؟

هكذا نزلت معها .. فوجئت بأنها تركض وسط صفوف القمح لكنها لم تجرح ولم تؤذ عودًا .. جريت وراءها فوجدتها اختفت .. هنا سمعت صوتها من خلفى تقول :

3tt3.net

هنا .. جريت فى ذلك الاتجاه غير مبال بتدمير القمح .. العم (سام) لن يفتقد هذه الأعواد ولن يلاحظ وجودها .. فقط لأجدها اختفت وتناديني من اليمين ..

هكذا رحت أجرى يمينًا ويسارًا بحثًا عنها كالمجنون .. وكانت تظهر ثم تتوارى .. وأنا أدوس أعواد القمح كالثيران بينما هى لم ترهق ولم يتمزق ثوبها قط .. وفى النهاية وجدتها أمامى وقالت :

ـ « أين أنت ؟ أنا أنتظرك هنا منذ زمن .. »

٢

مشينا لبيتها .. وهناك جاءتنى بكأس طويلة فيها شفاط وورقة نعناع .. كان الطقس حارًا فشربت جرعة كبيرة .. تبًا ! كان هذا ويسكى ..أبديت انزعاجى فقالت فى سخرية :

ـ « ربما تفضل بعض الشاى المثلج ؟ »

لم أكن أشرب الخمر خاصة فى منتصف اليوم .. لكن منذ ذلك اليوم صرت أشربها وفى كل وقت تقريبًا ..

هكذا رحت أعتى ببيتها بينما عينها مستر (لافين) للمكتبة .. وكنت أمر عليها هناك كلما وجدت فرصة ..

يبدو أننى وجدت الكثير من الفرص لأن مستر (لافين) كلمنى بصراحة عن ذلك ، هكذا وعدته بأن أطلى المكتبة من الداخل على سبيل الرشوة، كنت واقعًا تحت سحر امرأة لم تكن على الإطلاق امرأة ..

أذكر كيف علقت ملصق (ذات الرداء الأحمر) قبل وفاة مستر (لافين) بشهر .. لقد اقتادت طفلاً مذعورًا لتريه الملصق ثم سألته : هل تعرف لماذا يحدث الشىء المخيف لذات الرداء الأحمر ؟ لأنها لم ترجع كتب المكتبة فى وقتها .. كان هذا الصبى هو (مالكوم) الذى قتل بعد أعوام فى حرب فيتنام .. ورأيت الرعب فى عينيه ، وهو ينظر لى كأنه يقول : ساعدنى !!

مستر (لافين) لم يحب الملصق وقد لاحظ كيف يخافه الأطفال .. لذا دخل فى مناقشة معها حوله .. لم أسمع ما قيل لأنى كنت على السقالة فوق والصوت كان سيئًا .. لكنه قال إن هذا الملصق يخيف الأطفال .. ربما يشوه الأطفال ، وتكلمت هى عن أن هذا يساعد على تهذيب (العناصر الشاذة) .. فى النهاية اضطرت لنزع الملصق .

ليلتها كانت غاضبة وعصبية كنمر ظل صبى يضايقه فى قفصه بالعصا . عيناها حمراوان كأن مخها قد

3tt3.net